

أضواء البيان

. @ 199

وعلى كل ، فإن قضية القدر من أخطر القضايا وأغمضها ، كما قال علي رضي الله عنه : القدر سرٌّ الله في خلقه . .

وقال صلى الله عليه وسلم : (إذا ذُكر القضاء فأمسكوا) ، ولكن على المسلم النظر فيما أنزل الله من وحي وبعث من رسل . .

وأهم ما في الأمر هو جري الأمور على مشيئة الله وقد جاء موقف عملي في قصة بدر ، يوضح

حقيقة القدر ويظهر غاية العبر في قوله تعالى : { إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي

مَنَاصِمِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَلْنَا عَنْكُمْ وَلَتَنَذِرَنَّهُمْ فِي

الْآخِرِ مَرَّةً وَلَا كُنَّ لِلَّهِ سَلَامٌ إِنَّ رَبَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } . .

فهو تعالى الذي سلم من موجبات التنازع والفشل بمقتضى علمه بذات الصدور . .

ثم قال : { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيَّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا

وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى

اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ } ، فقد أجرى الأسباب على مقتضى إرادته فقلل كلاً من الفريقين

في أعين الآخر ليقتضي الله أمرًا كان في سابق علمه مفعولاً ، ثم بين المنتهى ، { وَإِلَى

اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ } ، والعلم عند الله تعالى . قوله تعالى : { ذَالِكِ

بِأَنزَالِهِ كَانَتْ تَوَّابَاتٍ فِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشِّرْ

يَهُودَ وَنَزَّارًا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَمِيدٌ } . فيه استنكار الكفار أن يكون من يهديهم بشراً لا ملكاً ، كما قال تعالى : {

وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا

أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا } ، وقوله تعالى : { أَبَشِّرْهُم بِإِحْدَا

نَسَاتِجِهِمْ } . .

قال الشيخ رحمه الله تعالى علينا وعليه ، في مذكرة الدراسة : فشبهتهم هذه الباطلة ردها

الله في آيات كثيرة كقوله تعالى : { وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًَا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا } {

، وقوله : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا } أي لا ملائكة وقوله { وَمَا

أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْزَلْنَاهُمْ لِيَظَاهِرُوا لِلنَّاسِ أَنَّهُمْ

وَيَمْلِكُونَ فِي الْآخِرَةِ } . .

قوله تعالى : { فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ

حَمِيدٌ { تقدم للشيخ رحمة الله تعالى علينا وعليه الكلام عليه عند قوله تعالى :
وَلِلَّهِ الْعَلَى